والكاف وكذلك نقل أهل اللغة وكان أبو عمرو والزاهد يقول الموكل قبة الملك فإن كان ذلك شيئاً قديماً سمعه فقد يجوز أن يكون حمل على أن هذا الموضع يقال له موكل وهو مقر مملكة القوم والذي يتهم به أبو عمرو يتخرج كثير منه على هذا النحو وكأن قبة الملك تسمى موكلاً لأنه يقعد فيها ويكل أموره إلى الخدم والحشم وقدم هذه البلاد رجل من أهل نجران ممن يسكن في البادية فصيح ينتمي إلى زبيد من مذحج فسمع فتى في المكتب ينشد هذه القصيدة فلما انتهى بموكل كسر الكاف فقال النجراني موكل وكذلك حكاه أهل العلم.

وقال في كلامه على:

وكنا نرى بعض الندى بعد بعضه ... فلما انتجعناه دفعنا إلى الكل

كان المتقدمون من أهل العلم ينكرون إدخال الألف واللام على كل وبعض وروى الأصمعي أنه قال كلاماً معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً إلا في موضع واحد وهو قوله: العلم أكبر من أن يحاط بكله فخذوا البعض وكان أبو علي الفارسي يزعم أن سيبويه يجيز إدخال الألف واللام على كل لا أنه لفظ بذلك ولكنه يستدل عليه بغيره والقياس يوجب دخول الألف واللام على كل وبعض وقد أنشد بعض الناس قول سحيم عند بني الحسحاس:

رأيت الغني والفقير كليهما ... إلى الموت يأتي الموت للكلى معمدا

هذه نموذجات من كتاب عبث الوليد وقد وقع في ٩٤ ورقة وحوى فوائد لغوية وأدبية قلما يعثر عليها في الكتب المتداولة وقد جاء في آخره تم الإملاء المعروف بعبث الوليد وهذه التسمة موقوفة بين أمرين أحدهما أن يراد عبث الوليد الذي هو البحتري والآخر أن يعني الوليد الذي هو الصبي وكون الرجل سمي بالوليد يحتمل هذه التسمية.

وصف الأسطول

كلما زهت طبيعة قطر وحف بضروب النعيم الصناعي والطبيعي تنفتق ألسن أبنائه في وصفه والميل إلى رباعه ولذلك تجد للشاميين في وصف إقليمهم من الأماديح ما لا تجده للعراقيين وما تجده للأندلسيين لا تراه لأدباء المصريين. والأندلس هي من البلاد التي زهت بنضرها وتاهت بفطرها ولذلك ترى شعراءها وكتابها أشبه بالأوربيين في مناحيهم الأدبية لهذا العهد ينطقون بوصف ما تقع عليه أبصارهم وما كانت تقع إلا على أثر في الحضارة وشيءٍ من العمران وإذ قد اضطرهم الحال آن يخوضوا غمرات البحار كالفينيقيين أيام عزهم والبريطانيين في أيامنا كان لهم من أساطيلهم ما وصفه شعراؤهم فيما يلي.

قال ابن هانئ يصف الأسطول:

معطفة الأعناق نحو متونها ... كما نبهت أيدي الحواة الأفاعيا
إذا ما وردنا الماء شوقاً لبرده ... صدرن ولم يشربْ غرقي صواديا
إذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة ... يُرى عقرباً منها على الماء ماشيا

وقال أبو عمرو يزيد بن عبد الله اللخمي الأشبيلي الكاتب:

ويا للجواري المنشآت وحسنها ... طوائر بين الماء والجو عوماً
إذا نشرت في الجو أجنحة لها ... رأيتَ به روضاً ونوراً مكمما
وإن لم تهجه الريح جاء مصالحاً ... فمدت له كفاً خضيباً ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤوسها ... على وجل في الماء كي تروي الظما
كما أسرعت عداً أنامل حاسب ... بقبض وبسط ينسق العين وإنما
هي الهدب في أجفان أكحل أوطف ... فهل صنعت من غندم أو بكت دما

قال ابن الأبار وقد أجاد ما أراد في هذا الوصف وإن نظر إلى قول أبي عبد الله ابن الحداد يصف أسطول المعتصم بن صمادح:

هام صرف الردى بهام الأعادي ... إن سمت نحوهم لها أجياد

وتراءت بشرعها كعيون ... أنها مثل خائفيها سهاد

ذات هدب من المجاذيف حال ... هدب باك لدمعه إسعاد

حمم فوقها من البيض نار ... كل من أرسلت عليه رماد

ومن الخط في يدي كل رد ... ألف خطها على البحر صاد

قال ومن حسن قول شيخنا أبي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيد أنشد فيه:

وكأنما سكن الأراقم جوفها ... من عهد نوح خشية الطوفان

فإذا رأين الماء يطفح نضنفت ... من كل حرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم إلى الإحسان وإنما سبقهم بالزمان على بن محمد الإيادي التونسي في قوله:

شرعوا جوانبها بجاذف أتعبت ... شادي الرياح لها ولما تتعب

تنصاع من كثب كما نفر القطا ... طوراً وتجتمع اجتماع الربرب

والبحر يجمع بينها فكأنه ... ليل يقرب عقرباً من عقرب

وعلى جوانبها أسود خلافة ... تختال في عدد السلاح المذهب

وكأنما البحر استعار بزيهم ... ثوب الجمال من الربيع المعجب

ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع:

ولها جناح يستعار يطيرها ... طوع الرياح وراحة المتطرب

يعلو بها حدب العباب مطارة ... في كل لج زاخر مغلولب

يسمو بآخر ذي الهواء منصب ... عريان منسرح الذؤابة شوذب

يتنزل الملاح منه ذؤابة ... لو رام يركبها القطا لم يركب

وكأنما رام استراقة مقعد ... للسمع إلا أنه لم يشهب

وكأنما جن ابن داود هم ... ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواهم بينهم فتقاذفوا ... منها بالسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق إذا انبرى ... من سجنه أنضلت أنضلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كأنه ... صبح بكر على ظلام غيهب
ومن أولها: أعجب بأسطول الإمام محمد ... وبحسنه وزمانه المستغرب
ليست به الأمواج أحسن منظر ... يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة عَلَى ما قابلت ... أشراف صدر الأجدل المتنصب
ومنها: جوفاء تحصر موكباً في جوفها ... يوم الرهان وتستقل بموكب

وقال أبو عمر القسطلي:

وحال الموج بين بني سبيل ... بطير بهم إلى الصوب ابن ما
أفر له جناح من سباح ... يرفرف فوق جنح من سماء

وأخذه إسحاق بن خفاجة فقال:

وجارية ركبت بها ظلاماً ... بطير من الصباح بها جناح
إذا الماء اطمأن ورقّ خصراً ... علا من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه ... وأتلع جيده الأجل المتاح

قال المقري ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة وقال ابن الأبار وقد قلت أنا في ذلك:

يا حبذا من بنات الماء سابحة ... تطفو لما سبّ أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غرباناً بأجنحة الحمائم البيض للإشراك ترزؤه
من كل أدهم لا يلغى به جرب ... فما لراكبه بالقار يهنؤه
يدعى غراباً وللفتخاء سرعته ... وهو ابن ماءٍ وللشاهين جوء جوءه

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الأسطول:

يا حسنها يوماً شهدت زفافها ... بنت الفضاءِ إلى الخليج الأزرق
ورقاءُ كنت أيكة فتصورت ... لك كيف شئت من الحمام الأورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه ... وكأنه من غرة لم يعنق
من كل لابسة الشباب ملاءة ... حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الأعيان أن شواهناً ... أسماؤها فتصفحت في المنطق
من كل ناشرةٍ قوادم أجنحٍ ... وعلى معاطفها وهادق سودق
زأرت زئير الأسد وهي صوامت ... وزحفن زحف مواكب في مأزق
ومجاذفٍ تحكي أراقم ربوة ... نزلت لتكرع من غدير متأنق

وقال القسطلي في أسطول أنشأه المنصور بن أبي عامر من قصيدة:

تحمل منه البحر بحراً من القنا ... يروع بها أمواجه ويهول
بكل محالات الشراع كأنما ... وقد حملت أسد الحقائق غيل
إذا سابقت شأو الرياح تخيلت ... خيولاً مدى فرسانهن حيول
متحالب تزجيها الرياح فإن وقت ... أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء فلاة ما لهن مفاحص ... وورق حمام ما لهن هديل
سواكن في أوطانهن كأن سما ... بها الموج حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل هوادج بالضحى ... غداة استقلت بالخليط حمول
أراقم تحوي نافع السم ما لها ... بما حملت دون العداة مقيل

العربية والتركية

أصيبت الأمة بعد سقوط دولة بني العباس بفتور غريب في العلم والآراء لما عايشته من أهاويل الحروب والفتن. ولما قامت الدولة العثمانية فجمعت تحت لوائها الأقطار